باب "إلى أن نلتقي"

لـحظة بـيـن عـالـمـيـن

بقلم أبو المعاطي أبو النجا

هل شغلك يوما أمر الإمساك بهذه اللحظة التى تسبق دخولك عالم النوم، أو التى تسبق خروجك منه إلى عالم اليقظة ؟

هذه اللحظة التى قد يشعر البعض أنها تشبه من بعض الوجوه اللحظة الفاصلة بين الحياة والموت؟

هل كان شغفي في مرحلة مبكرة من العمر بهذه المسالة بمحاولة الإمساك بهذه اللحظة ، التى كانت تبدو لي كلعبة من نوع خاص هى في حقيقته شغف مضمر أو سؤال متعجل عن معنى الموت قبل أن أتعرف على معنى الحياة؟

ولعلني أكتشف منذ البداية أن الإمساك باللحظة التى تسبق الخروج من النوم أيسر كثيرا من الإمساك باللحظة التى تسبق الدخول إلى النوم!

فغالبا ما كنت أكتشف أن أول ما أدركه بعيدا لحظة اليقظة يكون جزء من حلم ينتمي إلى حالة النوم الذي خرجت منه لتوى، وعندما كنت أحاول في اللحظات التالية ليقظتى أن أتذكر بقية الأجزاء من هذا الحلم فقد كنت أكتشف أحيانا ويا للمفارقة أن هذه الأجزاء وربما الحلم كله إنما جاء صدى للعالم الخارجي فالأمطار التي بللتني في الحلم لا تزال تهطل فى الخارج ولا يزال صوت سقوط قطراتها على النافذة يصلني بوضوح ، والحريق الذى كنت أهرب منه في الحلم كان رسالة إنذار برائحة غاز تسلل من أنبوبة للغاز لم يحكم إغلاقه في شقتي ، وكأن العالم الخارجي سواء جاءت صوره أو أطيافه من الماضي البعيد أو من الحاضر ، كان معي قبل النوم وفي أثنائه وبعده وكأنني لم أبتعد عنه كثيرا حتى وأنا في عز أحلامي !

أما الصعوبة الحقيقية فقد كانت في محاولة الإمساك بهذه اللحظة التى تسبق الدخول إلى عالم النوم قبل أن تكون منافذ الوعي والإدراك لديك قد أغلقت كل أبوابها دون إذن منك ، وعادة أنت لا تدخل عالم النوم سيرا على قدميك أن تسقط فيه، في فراغ لا سقف له ولا قاع ، لا نتحدث عن إنعدام الوزن بل إنعدام الإدراك فأنت لا تدرك حتى أن قوى أخرى تظل تقوم بعملها

في داخلك وأنت نائم للحفاظ على وجودك على قيد الحياه دون أن يكون لك من الأمر شيئ !

إلى متى يبقي للإنسان ذلك النوع من الوجود الذى يشبه من بعض الوجوه إنعدام الوجود ؟!

أظن أنه يبقي لمدة تطول أو تقصر حتى يجئ الحلم مرة أخرى حاملا مفردات من العالم الخارجي روائحه وأصواته وشخوصه وحيواناته وأحداثه وناسه ومشاعره وأفكاره في صورة خاصة بعالم الأحلام، دنيا مثل الدنيا وليست مثلها ، وكأنها تفتح أبوابها لدنيا قديمة مضت منذ مئات السنين ولكن أثارها باقية ، في هذه الأثناء قد لا أدرك أن ما أنا فيه مجرد حلم ولكن في بعض الأحيان تأتى لحظة إدرك فيها أننى أحلم دون أن يوقظنى هذا الإدراك من النوم، وهنا تجئ متعتي الكبرى في معابثة الحلم في اللعب معه في تحقيق ما لا أقدر على تحقيقه في عالم اليقظة ، في محاولة لفهم ما لا أقدر على فهمه في وضح النهار وقد يبدو وكأنه – ذلك الحلم – بصدد أن يمنحنى بعض ما أريد وأن يفك بعض الألغاز وأن يهتف ببعض الأسرار ، ولكن تلك اللحظة الرائعة لا تبقي إلا كما تبقي ليلة القدر ، وهكذا يبدو وكأن الحلم أشد مكراً ومعابثة مني ، فلا يسمح لي بالمضي في استغلاله فيقذف بي إلى عالم اليقظة كما يفعل طفل بكرة ملّ من اللعب بها وهكذا أجد نفسي مرة أخرى مقذوفا بي إلى العالم الخارجي الذى جئت منه متبوعا بصوت يخيل لي أنه يقول : تريد أن تعرف معنى الموت؟؟ ربما تعرف عندما تعرف أولا معنى الحياة!!